ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

إكتشاف موريتانيا نوفمبر 2019
Discovering Mauritania November 2019

اسم ولقب المؤلّف المرسل: أ.د عبد القادر خليفي- KHELIFI Abdelkader صص373-402
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ- جامعة وهران1 أحمد بن بلة- الجزائر.
البريد الإلكتروني: Khelifi.abd2009@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2019/12/20، تاريخ المراجعة: 2020/04/01، تاريخ القبول: 2019/04/04.

الملخص: يتعرض المقال للرحلة التي قمت بها في شهر نوفمبر من سنة 2019 إلى موريتانيا، وذلك بتتبع تنقلاتي من مكان إلى آخر. أسجل فيه تحركاتي وأذكر المواقع التي زرتها والمدن التي حللت بها؛ فقد زرت مدينتي نواكشوط وروصو، حيث اطلعت على شوارعها وأسواقها، وتحدثت عن نهر السنغال المجاور لروصو، وتحدثت عن المراكز العلمية التي زرتها مثل المعهد الموريتاني للبحث العلمي والمكتبة الوطنية وقسم التاريخ بجامعة نواكشوط، وزرت المعهد العالي للدراسات الإسلامية والمركز الثقافي المغربي والمكتبات الخاصة، وقد استفدت من أرشيف هذه المؤسسات، ومن المصادر والمراجع المحتوية عليها عن طريق التصوير والتلخيص والاقتناء، وتحدثت عن بعض المميزات في موريتانيا اعتمادا على مشاهداتي أو على بعض المراجع المحلية، ومن تصريحات الموريتانيين الذين لقيتهم، وفي مقدمتهم أساتذة قسم التاريخ بجامعة نواكشوط، وقد صادف وجودي بموريتانيا انعقاد مهرجان المدن القديمة الذي تقيمه موريتانيا كل سنة بإحدى المدن القديمة، وقد كانت مدينة شنقيط هي المعنية هذه السنة، وقد انعقد مهرجانها في أسبوع المولد النبوي حين كنت هناك.

ففيما يخص خصوصيات موريتانيا تعرضت لتعدد الأعراق فيها من بيضان وسودان، وتعرضت لظاهرة الطرق الصوفية، وانتشارها ودورها في الثقافة الموريتانية، وانتقلت للحديث عن المحضرات، وهي مدارس التعليم الأصلي، وانتشارها الواسع في البادية، كما لاحظت انتشار ظاهرة شرب الشاي بين الموريتانيين، وعن منتجات موريتانيا تحدثت عن بعض الموارد الهامة كالتمور والحديد والسمك والذهب.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

الكلمات المفتاحية: موريتانيا- رحلة- دراسات- جامعة- مخطوطات- الثقافة- الطرق الصوفية- السمك- الصحراء.

Abstract: *The article concerns the trip I made in November 2019 in Mauritania. It keeps track of my movements from one place to another. I recorded my moves and mentioned the sites I have visited and the cities I have analyzed. I visited the cities of Nouakchott and Roseau, where I looked at its streets and markets, and talked about the Senegal River next to Roseau. I talked about the scientific centers I visited such as the Mauritanian scientific Research Institute, the National Library and the History Department of the University of Nouakchott, and I visited the Higher Institute of Islamic Studies and the Moroccan Cultural Center and the private libraries. I benefited from the archives of these institutions and the sources and references they contain through photography, synthesis and acquisition. I mentioned some of the advantages of Mauritania, based on my observations or some local references, and the declarations of the Mauritanians I met, in particular the professors of the history department of the University of Nouakchott. My presence in Mauritania coincided with the holding of the festival of ancient cities that Mauritania organizes each year in one of the ancient cities. The city of Chinguetti was selected this year, and its festival took place the week of the Prophet's birthday when I was there. Regarding the peculiarities of Mauritania, it was subjected to the multiplicity of races from Whites and Blacks, and exposed to the phenomenon of Sufi methods, their dissemination and their role in the Mauritanian culture. I also continued to speak about the preparations and the schools of original teaching and their widespread in the countryside. I also noted the prevalence of tea consumption among Mauritanians, and with regard to Mauritanian products, I talked about some important resources such as dates, iron, fish and gold.*

Keywords: Mauritania - Travel - Studies - University - Manuscripts - Culture - Religious brotherhoods - Fish – Desert.

مقدمات الرحلة: أصبح موعد توزيع ميزانية التربصات معروفا لدى موظفي وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر، التي يستفيد منها مختلف موظفي الوزارة محليا ومركزيا، وفي هذا المجال تم تعليق منشور الإعلان عن افتتاح فترة تقديم ملفات الاستفادة من التربص القصير المدى للسنة الجارية 2019، وحدد آخر أجل لتقديم الملف بتاريخ شهر أبريل، لكن الجديد هذه السنة- كما علمنا- أن الحصة المالية الخاصة بالتربص قصير المدى هي أقل مما كانت عليه في السنوات الماضية، وأن علينا الاختيار بين الذهاب جميعا، وتقسيم القيمة المالية بيننا، أو تقسيم الأساتذة المستفيدين إلى

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

مجموعتين، تذهب المجموعة الأولى هذه السنة، وتذهب المجموعة الثانية السنة المقبلة، كي تكون القيمة المالية المحصل عليها معتبرة.[1]

اجتمع أساتذة قسم التاريخ تحت رئاسة رئيس القسم السيد بن عمر حمدادو بتاريخ 13 جوان 2019م[2]، وبعد الانتهاء من التعرض لمختلف نقاط جدول الأعمال، افتتح موضوع التربصات، وبعد شرح ومناقشة هذه القضية أجمع الحاضرون على استفادة الجميع من هذه التربصات، واستبعد التداول بين مجموعتين، وقال الحاضرون كلمة واحدة هي "نَمْشُوا قَاعْ"، استئناسا بالعبارة التي يتداولها الحَراك الشعبي[3]، وبذلك جاءت الحصة المالية بقدر نصف ما كنا نحصل عليه في السنوات الماضية، وتبعا لذلك تقلصت مدة الإقامة في الخارج من عشرة أيام إلى سبعة أيام باحتساب يومي الذهاب والإياب ضمن هذه الأيام.

كنت قد قررت زيارة موريتانيا هذه السنة؛ فنحن لا نعرف كثيرا عن موريتانيا، وبخاصة وأننا نُدَرّس تاريخها ضمن تاريخ البلدان المغاربية الحديث والمعاصر، بالإضافة إلى مقياس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في العصور الحديثة، والأساتذة يعانون في هذا المجال، كما رغبتُ في زيارة هذا البلد في إطار إتمام مقالاتي حول الرحلات العلمية التي أقوم بها؛ فقد ارتأيت أن أكمل هذا البلد المغاربي بعد أن زرت المغرب وتونس، أما ليبيا فإن أوضاعها الأمنية لا تشجع على الزيارة في هذا الوقت[4].

بحثتُ عن رفيق من أساتذة قسم التاريخ الذي أنتمي إليه لمرافقتي في هذه الرحلة، وعرضت الأمر على ثلاثة أساتذة، كان رد الجميع سلبيا، وتساءلوا عن الغرض من هذا التوجه، بل إن بعض أعضاء اللجنة التي قامت بتوزيع الحصص المالية على الأفراد المستفيدين من التربص احتاروا في أمر توجه أستاذ إلى موريتانيا؛ فقد تعَوَّد الجميع على الذهاب إلى بلدان تسبقنا تطورا أو تختلفا عنا في ظروفها الطبيعية؛ فكيف التوجه إلى بلد موضوع في قائمة البلدان المتخلفة، وهو واقع في أرض الجدب والقفار (الصحراء الكبرى)، تركت أساتذة القسم، واتصلت بأستاذ زميل من جامعة بشار فاستجاب على الفور، ورد إيجابيا بأنه يتشرف بمرافقتي بالسفر إلى موريتانيا، ولكنه لم يحصل على المنحة هذه السنة لظروف خاصة؛ فاستعذت بالله وقررت الذهاب بمفردي كما فعلت في كثير من الأحيان.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

1-إشكالية العنوان: تعودت أن أعنون موضوع الرحلة التي أكتب عنها بـ"رحلتي إلى كذا في تاريخ كذا"، ولكني أعرضت عن هذا العنوان بعد أن شاهدت ما يتميز به البلد الموريتاني من خصوصيات، وما يوجد من اختلاف في بعض نواحي الحياة العامة لهذا البلد مع البلدان المغاربية الأخرى، وتبادر لي تغيير العنوان، وفكرت في عنوان: "مغامرتي إلى موريتانيا"، نظرا لِما لقيته من إعراض الزملاء عن مرافقتي من جهة، ولما وجدت عليه بلد موريتانيا من جهة أخرى، وعملا بتيسير الأمور واقترابا من الواقعية، تبين لي أن يكون العنوان كالتالي: "اكتشاف موريتانيا نوفمبر 2019"، لأني اكتشفت فعلا بلدا مغاربيا مختلفا عن بقية البلدان المغاربية الأخرى في مجالات عديدة.

2- التحضيرات: بعد أن تسلمنا- نحن الأساتذة- وثائق التربص من إدارة الكلية، عمل كل واحد من الأساتذة على تحضير نفسه لتنفيذ سفره إن عاجلا أو آجلا، ومن أجل الإسراع في الحصول على المنحة المالية بصرف النقد من الدينار إلى العملة الصعبة (اليورو)، يجب تقديم تذكرة السفر ضمن الملف؛ فاتصلت بوكالة الأسفار التي تتعامل معها كليتنا، وهي وكالة "بيشا" الكائن مقرها بحي العقيد لطفي بوهران، وهناك تعرفت على قيمة التذكرة إلى موريتانيا ذهابا وإيابا، التي تتجاوز خمسين ألف دينار، وبما أن الكلية لم تغط القيمة كلها فقد شاركت بنصف قيمة التذكرة، وللتذكير فقد كنت قد شاركت في تذكرتي الخاصة بتونس سنة 2017 وبالمغرب سنة 2018 بثمانية آلاف دينار جزائري لكل منهما مثل بقية الزملاء، ومن هناك اتجهت إلى البنك، وقدمت الملف كاملا لصرف المبلغ الممنوح من الدينار إلى اليورو (72000 دينار). ذهبت إلى بنك الفلاحة والتنمية الريفية- المخول لهذا الأمر- الواقع بشارع زبانة، لاستخراج تلك القيمة بنقودي الخاصة في انتظار تسليمنا مستحقاتنا من الإدارة التي سيطول انتظارنا لها.

في تلك الأثناء، التقيت بالسيد سعد الله، الإداري المكلف بالإشراف على مسألة التربصات في كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، الذي نصحني بالاتصال بأحد أساتذة العلوم الإسلامية الذي قضى تربصا قصير المدى في موريتانيا، كي يفيدني في بعض الأمور التي احتاجها هناك. اتصلت بالأستاذ مولاي محمد هاتفيا واتفقنا على اللقاء في الكلية، وهناك أمدني ببعض المعلومات التي أفادتني كثيرا، ومنها عنوان الفندق الذي كان يقيم به حين كان يُحضر شهادة الدكتوراه سنة 2016، ومنها جرد لبعض الدور

العلمية والتعليمية بنواكشوط، وبأسماء بعض الأساتذة الذين كانت له علاقات جيدة معهم وبهواتفهم؛ كما استعنت ببعض المواقع الإلكترونية لمعرفة ظروف موريتانيا جغرافيا وبشريا، وعن المنشآت العلمية والتعليمية في هذا البلد.

3- الانطلاق نحو موريتانيا: كنت قد اخترت الفترة الممتدة من 9 نوفمبر إلى 16 منه من سنة 2019، ولكن خط الانطلاق لا يكون سوى من الجزائر العاصمة، أي خط الجزائر-نواكشوط، وتبلغ عدد الرحلات بين البلدين ثلاث مرات أسبوعيا؛ فكان لزاما علي الانتقال إلى الجزائر العاصمة بوسيلة نقل معينة، فاخترت النقل الحديدي، وفي الساعة السابعة من مساء يوم 9 نوفمبر كان الانطلاق من المطار الدولي هواري بومدين بالجزائر في اتجاه مدينة نواكشوط العاصمة الموريتانية، وبدل الساعة 19 كان إقلاع الطائرة على الساعة الثامنة وعشر دقائق (20.10)، وبعد ثلاث ساعات من الطيران، كان الوصول على الساعة 11 ليلا (العاشرة ليلا بنواكشوط)، أما درجة الحرارة في نواكشوط فكانت 26 درجة بحسب الإعلان الذي صرحت به مضيفة الطائرة قبيل نصف ساعة من النزول (تركناها 18 درجة بمدينة الجزائر). خرجت من المطار الدولي **أم التونسي** بنواكشوط، ركبت سيارة أجرة، وطلبت من صاحبها إيصالي إلى فندق الوفاء القريب من مقر قيادة أركان الحرس الوطني بمنطقة موريتل ألوان بوسط نواكشوط.

كانت المسافة طويلة بين المطار والمدينة، وتبلغ حوالي 35 كلم. سلمت للسائق مستحقاته عند الوصول إلى الفندق، وكانت القيمة هي 800 أوقية (يقولون عنها 8000 أوقية بالعملة القديمة)، وقد أظهر لي فاتورة من شركة نقل خاصة مسجل عليها: وصل نقل المطار- اتجاه الراكب 800 أوقية.

دخلت فندق الوفاء وسألت عن غرفة منفردة، فكان الرد إيجابيا، حملت حقيبتي وودعت السائق ودخلت الغرفة 5، أعلمني عامل الفندق أن الغرفة الفارغة لا تحتوي على جهاز تهوية، وأن عليَّ الانتظار حتى الغد كي تفرغ غرفة ثانية تحتوي على جهاز تهوية. كانت الغرفة متوسطة الاتساع تشتمل على جهاز تلفزة وثلاجة صغيرة وعلى حمام ودورة مياه، قبلت بالوضع مؤقتا؛ فأنا في منتصف الليل، ولا بد من قبول العرض.

4- في الطريق إلى مدينة روصو: علمت بعد وصولي إلى نواكشوط أن العطلة الأسبوعية هنا هي يوما السبت والأحد، كما أن يوم الاثنين 11 نوفمبر هو يوم عطلة بمناسبة المولد

النبوي (وصلت أمسية السبت)، ولهذا قررت السفر إلى إحدى المدن الموريتانية خارج نواكشوط ربحا للوقت، وكان قصدي هو مدينة روصو المحاذية لنهر السنغال. كنت أرغب في زيارة مدينة ولاتة أو مدينة شنقيط التاريخيتين أو نواديبو كأهم ميناء في البلد، ولكني وجدت المسافة كبيرة بين نواكشوط وهذه المدن (حوالي 400 كلم، أما ولاتة فأكثر من ذلك بكثير) وأيام إقامتي هنا قصيرة؛ فقررت السفر إلى مدينة روصو جنوبا (200 كلم)، التي تقع على ضفاف نهر السنغال، حيث بانَ لي أنه لابد للزائر من الاطلاع على هذا النهر الهام في إفريقيا.

اتجهت إلى مفترق طرق مدريد (Carrefour Madrid)، وهو منطلق عدة اتجاهات، يمكن المشي إليه راجلا انطلاقا من فندق الوفاء إذا لم يكن للشخص أمتعة تثقل كاهله، أو بواسطة سيارة أجرة جماعية (50 أوقية)، ومن هذا المكان (مفترق مدريد) يمكن الانطلاق نحو حافلات مدينة روصو عن طريق سيارة أجرة أخرى، كما يمكن الانطلاق منه نحو جامعة نواكشوط العصرية بواسطة الحافلة، وفي الصباح من يوم الأحد 10 نوفمبر 2019 ركبت سيارة أجرة من هذا المفترق، أنزلني بالقرب من حافلات مدينة روصو في مكان بعيد جنوب نواكشوط، هناك حصلت على التذكرة بـ 250 أوقية (ألفان وخمس مائة أوقية بحسب تلفظ سكان موريتانيا) في الساعة 11 صباحا. ركبنا الحافلة بتوجيه من عمال الموقع ليأخذ كل شخص مكانه دون نزاع.[6] تحمل الحافلة الركاب وأمتعتهم التي توضع على السطح، ويتم حزمها بشبكة من الخيوط المتينة. أقلعت بنا الحافلة من محطة توقفها، وانطلقت تنهب الأرض نهبا، في سرعة فائقة لا فرق في ذلك بين الطريق المعبد وغير المعبد. هذا الطريق الذي ينقسم إلى ثلاث حالات: **جزء منه معبد جيدا بـ(Tapis) **وجزء تجري تهيئته مما يجعل الحافلة تحيد عن الطريق لتسلك طريقا جانبيا غير معبد، يجري به السائق دون اعتبار لأي شيء،**وجزء ضيق تحفه الرمال من إحدى الجهتين أو منهما معا. استرحنا في إحدى المدن الواقعة في منتصف الطريق، وحصل كل راكب منا على ما يريده، سواء كان شايا أو فطائر أو نوعا آخر من الطعام.

كانت المنطقة جافة مع كثرة الرمال على أطراف الطريق في البداية؛ فنحن في أرض صحراوية، ولكن الأرض بدأت تخضر كلما اقتربنا من مدينة روصو؛ كنا نبتعد عن الصحراء الكبرى، ونتجه صوب المنطقة المدارية جنوبا، وفي الطريق كنت أرى تجمعات

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

سكنية متفرقة منفصلة عن بعضها البعض على جانبي الطريق، سألت أحد المسافرين الموريتانيين الجالس بجانبي هل هذه "شاليهات" للسياحة أم هي سكنات؟ فرد علي بأنها سكنات للمواطنين. إنها قرى يستقل فيها كل منزل عن الآخر بما يشبه في أحيان كثيرة سكنات الأفارقة المبنية بالقش، أو كأنها تجمع لخيام البدو، لأن الخيام لا تلتصق ببعضها، بل إن كل بيت من الشعَر مستقل عن غيره. يتكون المنزل الواحد من حويطة من الإسمنت أو الحجر بارتفاع دون المتر، وتخرج منه أعمدة حديدية أو إسمنتية، ويتوسط هذا المربع شكل قبّة، وعلى الأعلى غطاء مسدول على تلك الأعمدة، يتوسط كل تجمع سكاني من هذا النوع مسجد صغير بصومعته، وفي مدخل القرية دكان (بقالة) للمواد الغذائية يتمون منه سكان المكان.

يظهر أن شكل الخيمة لدى بدو موريتانيا الهرمي هو غير شكلها في البلدان المغاربية إلى الشمال منها، وهي المصنوعة من شعَر الشياه والماعز ومن وبر الإبل، ولها فتحة يخرج منها دخان الموقد. يقول أحد الكتاب الفرنسيين بمناسبة إحياء الذكرى الخمسين لنشأة نواكشوط العاصمة (2005): إن الخيمة في موريتانيا هي "ذلك السكن الأصيل للرعاة الرحل البيضان، والذي يختلف عن أنواع الخيام الأخرى في إفريقيا الشمالية والجزيرة العربية، بشكلها الهرمي وأبعادها المتواضعة."[7]

5- الوصول إلى روصو: كان الوصول إلى مدينة روصو في الساعة الثانية والنصف بعد الزوال(4 ساعات). تقع مدينة روصو جنوب العاصمة نواكشوط بأكثر قليلا من 200 كلم، وهي على الضفة اليمنى لنهر السنغال، ومن محطة الحافلات ركبت سيارة أجرة لتوصلني إلى وسط المدينة، وبعد برهة توقف بي السائق أمام أحد الفنادق(La case)، ولكني لم أر ما يميز المكان، وما يعتبر أنه فعلا وسط المدينة، لقد كان الشارع والبنايات جد بسيطة، ولا شيء يدل على الحضارة ما عدا بناية الفندق التي تمثل تحفة وسط بنايات قديمة. أكد لي السائق أن المكان هو فعلا وسط المدينة، فنزلت وحجزت غرفة لشخص واحد وهي بقيمة 1200 أوقية لليلة الواحدة. أخذتُ حماما لأزيل أتعاب السفر وشدة الحرارة. كانت الحرارة شديدة في الخارج، لذلك فضلت البقاء في الفندق حيث التهوية ومشاهدة التلفاز، وبعد حين خرجت أجُوب المكان، كل شيء كان قديما لا يدل على أن المدينة حديثة. هناك الباعة في كل مكان، وكأن الجميع يتاجر في المحال المبنية

على قارعة الطريق. منهم صناع الشاي الذين يجلسون على كرسي أو على الأرض يُعِدون الشاي بطريقتهم الخاصة، وهناك باعة المأكولات والملابس وغير ذلك. يغلب على هؤلاء الأفارقة سيمة السواد؛ إذ نحن قريبين هنا من بلاد السنغال التي يسكنها السوادين جنسا ولونا. وهناك على الضفة السنغالية توجد روصو السنغالية على الضفة اليسرى للنهر.

اتجهت إلى النهر لأطلع عليه، دخلت من المكان الذي يتواجد به رجال الأمن لأنه المكان الأقرب إلى الفندق الذي نزلت فيه، يدخل الرجل من أحد الأبواب، سألني أحد العسكريين ماذا أحمل في يدي؛ فأظهرت له آلة التصوير فاعترض على التصوير، وعدته بأني لن أقوم بالتصوير. أشرفت على النهر من الجهة الموريتانية، وإذا بالمراكب الصغيرة تجوبه ذهابا وإيابا بين ضفتيه (الموريتانية والسنغالية) وعليها الرجال والمتاع، وهكذا فالنهر صالح للملاحة ونحن في مجراه الأدنى.

6- العودة إلى العاصمة نواكشوط: قضيت صبيحة يوم الإثنين 11 من شهر نوفمبر في مدينة روصو، بين نهر السنغال من جهة ووسط المدينة بأسواقها من جهة أخرى، وعلى العاشرة اتجهت إلى مقر مؤسسة النقل الموجودة بجوار فندق(La case)، الذي كنت أقيم فيه، وتدعى "الراحة للنقل". حجزت التذكرة وعلى الساعة العاشرة والنصف أقلعَتْ بنا الحافلة في اتجاه العاصمة نواكشوط، ومن الصدف الغريبة أن رقم مقعدي في الذهاب إلى روصو والعودة منها هو رقم 8. والحمد لله أنه مكان مريح في جو حار وفي مسافة طويلة. عدت إلى النزل السابق في نواكشوط، ونزلت بإحدى الغرف الكائنة في الطابق الأول. تتوفر الغرفة على جهاز تلفزة وجهاز تهوية وثلاجة من النوع الصغير بالإضافة إلى حمام ودورة مياه. والفندق من النوع المتوسط، لا هو فاخر ولا هو دون المستوى.

وفي العاصمة زرت عدة مواقع علمية ومؤسسات، منها:

أ- المعهد الموريتاني للبحث العلمي: بدأتُ زيارتي بهذا المعهد لخصوصيته في احتوائه على المخطوطات؛ فماذا يمكن أن نعرف عن هذا المعهد العالي؟ جاء في مطوية حصلت عليها من أحد موظفي المعهد أن الاسم الكامل للمعهد هو: "المعهد الموريتاني للبحث والتكوين في مجال التراث والثقافة"، وهو تابع لوزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع

البرلمان، ويُعَرف بأنه مؤسسة عمومية ذات طابع إداري لها هدف علمي وثقافي وتراثي وتقني...، وقد أسند لهذه المؤسسة منذ سنة 1974 مهام جسام ومتعددة تتلخص في:

*تنظيم البحث العلمي في مختلف مجالات التراث والثقافة والنهوض بها.

*إحصاء وفهرسة ودراسة وحفظ وصيانة المخطوطات الوطنية.

*البحث في مجالات ما قبل التاريخ والتاريخ والأركيولوجيا.

*جمع وحفظ وتثمين ونشر التراث الشفوي المتعلق بالعادات والتقاليد.

قمت بزيارة المعهد يوم الثلاثاء 12 نوفمبر 2019 صباحا. اعتذر لي أحد الموظفين (عبد الله أحمد عبيد رئيس قطاع البحث العلمي بالمعهد) لغياب موظفي قسم المخطوطات، ومنهم مدير المعهد لوجودهم في مدينة شنقيط بمناسبة انعقاد "**مهرجان المدن القديمة**". عدت يوم 14 نوفمبر صباحا، وتكلف الموظف السابق ذكره بفتح قسم المخطوطات، وقدم لي دليل مخزون المخطوطات[8]، تصفحته وطلبت بعض الوثائق. سلمني بعضها واعتذر عن الأخرى بسبب ظروف المهرجان السابق الذكر، قمت بتصوير بعضها بواسطة آلة التصوير.

يحتوي دليل مخزون المخطوطات على مجموعة كبيرة من العناوين بلغت 27 عنوانا أي موضوعا. منها الميدان الديني والتاريخي واللغوي والأدبي وبعض العلوم الأخرى (الطب- الفلك- الجغرافيا). ذكر لي الموظف، عندما استفسرت عن ظروف جمع الوثائق، أن المعهد قام بعملية الجمع في السبعينيات من القرن العشرين بالاتصال بالسكان وبخاصة البدو الرحل الذين كانوا يحملون صناديق كتب يعانون في حملها في تنقلاتهم من مكان إلى آخر. منهم من سلمها لهم، ومنهم من اعتبرها أمانة يعود لاستلامها حين يكون ذلك ضروريا. وقد أخبرني أن بعضهم استعاد ما كان قد سلمهم إياه، ومنهم من لم يعد. ويُصْدر المعهد مجلة سنوية عنوانها: "الوسيط"، كنت قد شاركت في العدد 12 الصادر سنة 2013 بمقال عن "سياسة ديغول الإفريقية من خلال مذكرته الأمل"، مع ثلة من الأساتذة الجزائريين، تبعا للحملة التي قام بها المعهد بين الأوساط الجامعية الجزائرية في تلك الفترة.

ب- المكتبة الوطنية: عندما لم أجد غرضي في المعهد الموريتاني للبحث العلمي يوم 12 نوفمبر اتجهت إلى المكتبة الوطنية الموجودة في ظهر المعهد غربا. تحيط الرمال بكل من

المعهد المذكور والمكتبة وبجوارهما المتحف الوطني. يتم الدخول إلى المكتبة عبر بوابة كبيرة مفتوحة على ساحة فسيحة، ثم ترتقي أدرجا لتدخل المكتبة. رحبت بي الموظفة وسألتني عن غرضي، طلبت منها دليل المحتويات فأشارت لي إلى مكانها. تصفحت العناوين واخترت دليل "التاريخ والجغرافيا". يحتوي دليل التاريخ والجغرافيا على كتب مغاربية وأخرى عامة. لاحظت وجود بعض المؤلفات الجزائرية، منها موسى لقبال في "دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية"، ومنها مرمول محمد الصالح في "السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي" من جامعة قسنطينة. وعن موريتانيا أحصيت خمس مراجع فقط (موريتانيا الماضي المتحرك والمكان المؤثر- موريتانيا عبر العصور- حياة موريتانيا- موريتانيا في مفترق طرق- الشعر والشعراء في موريتانيا). قمت بتلخيص بعض الفقرات عن موريتانيا من بعض هذه المراجع، وهو ما يمكن القيام به في تلك الظروف.

وبنظرة متفحصة يظهر أن هذه المكتبة لا ترقى إلى أن تكون بمعنى مكتبة وطنية حقيقية؛ فهي في مبناها ومحدودية محتوياتها تحتاج إلى إعادة نظر بترقية محتوياتها وتوسيع خدماتها لتتجاوز مجرد المطالعة.

ج- جامعة نواكشوط العصرية: تقع جامعة نواكشوط الجديدة شمال العاصمة نواكشوط، في الطريق المؤدي إلى مدينة نواديبو، بها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وبها مكتبة ودوريات. افتتحت منذ ثلاث سنوات، كان الزميل مولاي محمد قد أخبرني بأن الذهاب إلى هذه الجامعة يتم عند مفترق طريق مدريد (Carrefour Madrid)، اتجهت إلى المكان وركبت الحافلة يوم الأربعاء 13 نوفمبر (10 أوقية). كنت من الأوائل في الصعود إليها لذلك تمكنت من الحصول على مقعد للجلوس، وكانت المسافة بعيدة. قطعنا أحياء عديدة، وانتهى العمران ونحن ما نزال لم نصل. لقد تم نفي الطلبة إلى القفار، وإبعاد هوسهم عن وسط المدينة للتخلص من حركاتهم.

قصدت قسم التاريخ، هناك التقيت بأستاذين: محمد سعيد رئيس القسم تخصص تاريخ حديث ومعاصر، والأستاذ أحمد مولود أيد الهلال تخصص تراث وآثار إسلامية ورئيس وحدة بحث آثار وتراث موريتانيا. وقد شارك هذا الأخير- تبعا لتصريحه- في "مهرجان شنقيط نوفمبر 2019". تأسف الأستاذ أحمد مولود على عدم الاستفادة من حضوري إلى موريتانيا لإلقاء محاضرة لطلبة الماستر، لأن موعد عودتي سيكون بعد

يومين فقط. والوقت غير كاف للاتصال بالطلبة من أجل الحضور. وقد تكرم هذا الأستاذ وأوصلني إلى المدينة في سيارته، ليعرض علي تناول الغذاء معه في أحد المطاعم، ولولا غياب زوجته في تونس لكان الغذاء في الدار كما قال. وقبل الغذاء أخذني إلى مقر المكتبة المركزية لأهدي لها كتابا من تأليفي (الطريقة الشيخية). كما أخذني إلى إحدى المكتبات التي ينشطها الأساتذة؛ وبخاصة طبع الكتب بإمكانياتهم الخاصة. وتقع المكتبة بجوار المسجد السعودي، الذي أدينا فيه صلاة الظهر، حيث تصادف وجودنا في المكتبة المذكورة مع وقت الآذان (14.30).[9]

يتبع قسم التاريخ منهج (LMD) المتبع لدينا، أما موضوع الماستر المفتوح هذه السنة فهو: "الصحراء والساحل في الفترتين الحديثة والمعاصرة"، وأما الدكتوراه فلم تفتح في هذه الشعبة حتى الآن، رغم أن الاعتماد صدر رسميا وتم تعيين منسق (البروفسور محمد أمين)، وتبقى إجراءات التنفيذ. أما في التخصصات الأخرى بالجامعة نفسها فقد افتتحت الدكتوراه في مادة الأدب واللغة العربية وآدابها وفي مادة الجغرافيا.

ويُصدر مختبر "الدراسات والبحوث التاريخية حول موريتانيا" بجامعة نواكشوط العصرية مجلة تحت عنوان: "مصادر"، صدر منها حتى الآن ستة أعداد، حصلت على العدد 5 لسنة 2013، والعدد 6 لسنة 2017، وهي تعني بالتاريخ الموريتاني في مختلف عصوره.

وفي اليوم الموالي اتصل بي الأستاذ محمدّو أمين من القسم نفسه، بعد أن علم بوجود أستاذ جزائري بموريتانيا. اتفقنا على اللقاء صبيحة اليوم الموالي. حضر الأستاذ باكرا إلى النزل الذي أقيم به، وصحبني إلى أحد المطاعم الذي يقدم وجبات فطور الصباح، معتذرا عن عدم تمكنه من استضافتي في منزله لظروف خاصة. كان الأستاذ جوادا، قدمت لنا أشهى ما يقدم في مثل تلك المطاعم، تناولنا الحديث مطولا ونحن نتناول فطورنا. وجدت الأستاذ ملما بكثير من القضايا الثقافية، وأعلمني أنه شارك في العديد من الندوات والملتقيات عبر بلدان عديدة وبخاصة البلدان المغاربية. وقبل أن نفترق أهدى لي أحد كتبه عن الثقافة الحسانية من خلال تاريخ البداوة في موريتانيا، وأرسل معي نسخة للأستاذ عبد القادر بوباية.

د- جامعات ومعاهد أخرى في موريتانيا: استنادا إلى الأستاذ مولاي محمد الذي عاش في نواكشوط 45 يوما، وإلى بعض الأساتذة الموريتانيين الذين التقيت بهم في العاصمة الموريتانية. يمكن حصر الجامعات فيما يلي:

- **جامعة شنقيط العصرية:** وهي جامعة خاصة بها كلية اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، تقع بالقرب من السفارة المغربية الجديدة في منطقة راقية تسمى "تفرغ زين" في العاصمة نواكشوط، لم أتمكن من زيارتها لضيق الوقت.

- **الجامعة اللبنانية:** وهي جامعة خاصة، تقع إلى الشمال من جامعة نواكشوط، أسست سنة 2008، تضم تخصصات مختلفة وتتبنى النظام الإنكليزي، تمتاز بمحدودية المقاعد في القسم الواحد، لها علاقات مع جامعات أجنبية.

- **جامعة عبد الله بن ياسين:** وهي أيضا جامعة خاصة أسست سنة 2010، يقع مقرها الرئيس في نواكشوط، تدرس تخصصات مختلفة كالاقتصاد والعلوم الشرعية واللغات والكمبيوتر.

- **المعهد العالي للتعليم التكنولوجي:** في مدينة روصو، وهو متخصص في الفلاحة.

هـ- المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية: هو معهد للتعليم العالي يلتحق به الطلبة الحاصلون على البكالوريا أو بعد اجتياز مسابقة لمن لم يحصل عليها من خريجي المحاضر الموريتانية، وقد أنشئ سنة 1978. زرت المعهد يوم الخميس 14 من شهر نوفمبر 2019. اطلعت في مكتبته على بعض المخطوطات وهي يسيرة، سجلتها وطلبت ثلاثة منها، حصلت على اثنتين منها فقط (رسالة أهل ولاتة لمجهول- أرجوزة في تاريخ موريتانيا لوالدين خالنا- شيم الزوايا لمحمد بن سعيد اليدالي).

و- المركز الثقافي المغربي: يقع في سوق موريتل ألوان بجانب مسجد الحسن الثاني، ويَعرفه السكان بالمسجد المغربي، به مكتبة اطلعت على دليل المحتويات في تخصصات مختلفة. يشرف على المُركب مسؤول مغربي (المسجد والمركز الثقافي). زرته يوم الجمعة 15 نوفمبر 2019 ابتداء من الساعة 10 صباحا. طلبت كتابين (المسار الإفريقي للطريقة السنوسية لجون لوي تريو- الإسلام والمقاومات والدولة في إفريقيا الغربية- ندوة)، وقمت بتصوير بعض الصفحات.

ز- المكتبات الخاصة: هي مكتبات قليلة منها **مكتبة القرنين 15 و21م:** تقع بعمارة المامي في الشارع الكبير بالقرب من السوق الكبير وبالقرب من مستشفى أنكولوجيا، حصلت من هذه المكتبة على كتاب واحد عن تاريخ موريتانيا. **مكتبة الثقافة الإسلامية** بها مكتبة غنية حصلت منها على ثلاثة كتب في التاريخ الموريتاني، وتقع وسط سوق شعبي(المرسى). **مكتبة الرشاد** قريبة من المكتبة السابقة، لكنها ليست ذات أهمية.

7- المكتبات الأهلية: خصص الأستاذ محمدّو أمين فصلا لـ "المكتبات الأهلية في موريتانيا وتحديات البقاء" في كتابه مدخل إلى تاريخ البداوة، بَيَّن فيه قصده بالمكتبات الأهلية على أنها المكتبات الشخصية أو الأسرية أو الوقفية الموجودة في المدن التاريخية وفي المراكز الحضرية العريقة وفي القرى والمخيمات والأحياء وفي الزوايا، ويقدر عددها بـ 300 مكتبة وقفية أو خصوصية متفرقة في مدن وقرى وأرياف موريتانيا، وأنها تختزن تراثا مخطوطا يعتقد أنه يبلغ أربعين ألف (40.000) مخطوط تتناول موضوعات شتى.

وقد اعتمد في بعض معلوماته على مقال لأحمد ولد محمد يحي عن "المخطوطات العربية والإسلامية في دول الساحل" (مجلة الموكب الثقافي، اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم. العددان 2 و3، نواكشوط 1995، ص39)، ويرى الكاتب أن المكتبات الأهلية تهددها تحديات في الصميم ناتجة عن الظروف الطبيعية من جهة، وعن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والمؤهلات العلمية والمهنية لمن يتولون حيازتها والإشراف عليها من جهة أخرى.[10] ويستند الكاتب أيضا في تعداد المكتبات على أحد البحوث الحديثة بمدينة شنقيط وحدها، على أن عددها هو 22 مكتبة أهلية سنة 2008 في مقدمتها مكتبة أهل حبت[11].

لكن ما هي الظروف التي سهلت الحصول على الكتب في هذه المكتبات في بلد مترامي الأطراف في أقصى غرب البلاد العربية، وفي بلد يغلب عليه الطابع الصحراوي. يذكر محمدو أمين أن العلماء والفقهاء كانوا يقتنون الكتب من مختلف الحواضر العربية والإسلامية التي يمرون بها أثناء تأديتهم لفريضة الحج، وأنه ورغم أن أغلب سكان موريتانيا هم من البدو المتنقلين وهم في وسط صحراوي منعزل؛ كانوا يهتمون بجمع الوثائق، وكان ارتباطهم بالعلم والمعرفة كبيرا، ويمكن إضافة من أسباب هذا الاهتمام هو محاولة الموريتانيين تعويض بعدهم عن الديار المقدسة بالحصول على الكتب

والمخطوطات. إلا أن الظروف القاسية التي يعيشها هؤلاء، وبخاصة منها الطبيعية من تصحر وقساوة العيش أدى إلى النزوح نحو مناطق أخرى، وأنهم اختاروا التعليم الرسمي الحديث على التعليم الأصلي، وتمت هجرة المكتبات ما جعلها تنخفض أو تتلاشى شيئا فشيئا.

8- مهرجان المدن القديمة: تقوم دولة موريتانيا بواسطة الأجهزة المتخصصة (وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع البرلمان) بتنشيط الحركة العلمية والثقافية عن طريق ما يسمى بـ"مهرجان المدن القديمة" الذي تقام فيه ندوات علمية سنوية ونشاطات للشعر والصناعات التقليدية والسهرات الفنية والعروض الفلكلورية والمعارض وكذلك سباق الإبل، وقد شاركَتْ كل من الجزائر والمغرب وإسبانيا هذه السنة (2019) في المهرجان الذي أقيم بمدينة **شنقيط** في دورته التاسعة، وقد انعقد المهرجان في الأسبوع الذي قضيته بموريتانيا، وهو يصادف أسبوع المولد النبوي، ويبدأ من يوم الأحد 10 نوفمبر 2019.

أقيمَ المهرجان هذه السنة في مدينة شنقيط الواقعة في الشمال الموريتاني، في الطريق البري الموصل إلى الجزائر مرورا بمدينة تندوف، وقد تم تصنيف المدينة من قبل منظمة اليونسكو كموقع ضمن قائمة التراث العالمي سنة 1996. "كانت ممرا وملتقى كل القوافل؛ فمَكَّن ذلك من تدعيم الدور البارز الذي لعبته تجاريا وثقافيا في عهد ما بعد تدهور أوداغست وكومبي صالح..."[12].

شاركَتْ الجزائر في هذا المهرجان بعشرين معرضا في ميدان الصناعة التقليدية والحرف، وأدرجت في منتوجاتها الجلود والفخار والخشب والنحاس والملابس التقليدية والمجوهرات والتحف...، كما قدم الجناح المغربي نشاطات المركز الثقافي المغربي بنواكشوط بمطبوعاته وكتبه ومخطوطاته ولوحاته...[13]

وتعمل موريتانيا على إحياء هذه المناسبة لإعادة الاعتبار للمدن التاريخية التي قدمت خدمات كبيرة للإسلام والعلم والتجارة؛ فقد كانت شنقيط منارة للإشعاع الثقافي والفكري والديني بين البلاد المغاربية شمالا وبلاد غرب إفريقيا جنوبا، وكانت مركزا تجاريا تمر بها قوافل التجار، تحمل سلعا متعددة أهمها الذهب والملح والرقيق، كما ساهمت في نشر الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية جنوب الصحراء بعامة، وإذا كان مهرجان

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

هذه السنة قد أقيم بمدينة شنقيط؛ فإن مهرجان العام الماضي (2018) أقيم بمدينة تيشيت.

وكانت مدينة شنقيط- بالإضافة إلى ما سبق- تمثل إحدى المدن الهامة في الإسلام بغرب إفريقيا، حيث يجتمع فيها الحجاج للقيام بالمسيرة الطويلة نحو مكة، وهي اليوم تحتوي على مكتبات عائلية هامة تعتبر كنزا أدبيا حقيقيا مهدَّدا بالاندثار. تعود أقدم مخطوطاتها إلى القرن الحادي عشر ميلادي، وهي مكتوبة في بعضها على جلود الغزلان بواسطة النبات الأخضر والنيلي (أزرق) وأكسيد الحديد (أحمر) والفحم (أسود) والصمغ العربي لإصلاح الكتابة.[14]

وإلى جانب مدينة شنقيط هناك مدن تاريخية أخرى، يذكر الأستاذ أحمد مولود أن "أودغست وكومبي صالح وآزوكي كلها حواضر ظهرت وازدهرت ثم اندثرت في ذات الحقبة الوسيطة...، ثم ظهرت بعدها قصور ولاتة وودان وتشيت وشنقيط التي شكلت امتداداً وتواصلا مع الحواضر السابقة خصوصا في مستوى الوظائف التجارية والأنماط المعمارية وطرق استغلال الفضاء شبه الحضري..."[15].

وقد لاحظت عند ركوبي الطائرة العائدة إلى الجزائر يوم 16 نوفمبر، ركوب أعداد من الجزائريين العائدين على متن الطائرة نفسها بعد نهاية المهرجان؛ فالطريق الرابط بين البلدين هو النقل الجوي الذي يربط مدينة الجزائر بالعاصمة الموريتانية نواكشوط، أما الطريق البري الرابط بين تندوف وشنقيط فهو شاق ومتعب لبعد المسافة وحرارة الجو. ذكر لي أحد الجزائريين- ونحن في الطائرة- أنه يشتغل في شركة تقوم بمد سكان نواكشوط بالمياه العذبة انطلاقا من نهر السنغال، وذكر لي آخر أنه يشتغل في شركة جزائرية تقوم بمد بعض الطرق وتعبيدها بين المدن الموريتانية، والواقع أن الطرق في موريتانيا ما تزال تحتاج إلى تحديث وتوسيع ومراقبة.

كان الرئيس الموريتاني محمد ولد الشيخ الغزواني قد افتتح المهرجان، وألقى كلمة في هذا الافتتاح، بين في خطابه "الهدف من إقامة المهرجان الذي يكمن في ترقية التراث العلمي لمدننا القديمة، وصون موروثنا الثقافي، والمحافظة على طابعها المعماري الفريد، وترقية كنوزها التراثية، ودعم إنتاجها المحلي وأنشطتها المدرة للدخل بخلق فرص عمل جديدة."[16] "وأن الحكومة (الموريتانية) ستعمل من أجل المدن التاريخية لأن البلاد تحمل

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

مقومات النمو والتطور، بفك العزلة عنها، وتحديث بناها التحتية، وجعلها مناطق سياحية نشيطة"[17].

والمعروف أن كلمة "شنقيط" كانت تطلق على البلاد الموريتانية الحالية، والفرنسيون هم الذين أطلقوا الاسم الأخير على هذه البلاد. يرى البعض أن السبب هو محاولة فصل السكان عن ماضيهم الإسلامي الزاهر بإحياء الاسم الروماني القديم.[18] ويذكر أحد الكتاب الموريتانيين أن "التسمية الحالية "موريتانيا" اصطلاح روماني معروف أصله أمازيغي- آتمورتناغ- تمورتنّا- أرضنا، ولعله متأتٍ من قبائل المور الشهيرة التي ناهضت الرومان والوندال وغيرهم من غزاة الأمازيغ القديمة"[19].

9- من خصوصيات موريتانيا: تختص موريتانيا بمميزات محددة نتيجة موقعها المتوسط بين بلدان شمالي إفريقيا وبلدان جنوبي الصحراء من جهة، ونتيجة تاريخها كدولة وكعاصمة جديدة انبثقت عما كان يسمى بإفريقيا الغربية الفرنسية، ثم استقلالها عن الاستعمار الفرنسي سنة 1960 من جهة أخرى، كما أن لغلبة الطابع الصحراوي على جل أراضيها، إلى جانب مجاورتها للمحيط الأطلنطي بساحل كبير أكسبها تميزا آخر، وبناء على ذلك تبينت لنا بعض الخصوصيات سنتعرض لها فيما يلي:

أ-سيادة المناخ الصحراوي: تقع أغلبية مساحة موريتانيا في الصحراء، والتي تمثل 60 في المائة من المساحة الكلية، مما نتج عنه شدة الحرارة طول السنة (متوسطها 30 درجة سنويا) وندرة المياه وانتشار المناخ القاري وقلة السكان وانعدام النبات ما عدا النخيل في الواحات، وتسود تربية الإبل في الوسط والشمال حيث الصحراء القاحلة، وتسود الرمال بكثبانها الرملية مساحة واسعة، نجدها وقد غزت شوارع العاصمة نواكشوط متحدية الإنسان بقوتها؛ مما يجعل موريتانيا تحت أشعة الشمس الدائمة والعواصف الرملية شبه اليومية، وتهب بقوة على معظم أنحاء البلاد ما عدا فصل الشتاء، وأفضل مكان تعتدل فيه درجة الحرارة هو مدينة وميناء نواديبو في الشمال الغربي التي تتميز بمناخ صحراوي بحري تتراوح متوسط درجة الحرارة فيه بين 18 و26 درجة مئوية سنويا[20].

كما تتميز موريتانيا بوقوعها إلى الشمال من نهر السنغال- وهو أحد الأنهار الإفريقية الكبرى- الذي يقطع أراضيها بخط متعرج على مسافة 500 كلم من طوله الذي يبلغ 1700 كلم من المنبع حتى المصب، ويعتبر حدا فاصلا بينها وبين دولة السنغال، ويسود

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

المناخ المداري الرطب صيفا في هذه الجهات، مما يسهل ممارسة الزراعة وتربية الحيوان من ضأن وماعز وأبقار، وتطغى مياه النهر عند الفيضان فتغمر أطرافه (من شهر جوان حتى شهر نوفمبر)، فيترك رواسب حديثة تستغل في الزراعة بعد انحساره عن تلك الأطراف، ويستفيد البَلدان: السنغال وموريتانيا من النهر في النقل البحري؛ فهو صالح للملاحة في هذا الجزء السفلي منه لنقل الأشخاص والأمتعة.

ب- تعدد الأعراق في موريتانيا: تتميز موريتانيا بوجود العنصر الزنجي بشكل كبير عكس بقية البلدان المغاربية؛ ففي العاصمة نواكشوط يعتبر هذا العنصر لافتا للنظر لوجوده بكثرة؛ أما في مدينة روصو بالجنوب الموريتاني والمجاورة للسنغال؛ فهم الغالبية بحسب ما لاحظت في شوارع المدينة وأسواقها.

وإذا كان الجزء الأكبر من هؤلاء هم موريتانيو الجنسية؛ فإن العمالة الإفريقية لها وزنها في هذا التواجد الكبير. يستطيع الإنسان ملاحظة ذلك من خلال عدم فهم البعض منهم للغة العربية (الحسّانية الموريتانية)، مما يجعل المرء يكلمهم باللغة الفرنسية التي هي لغة المستعمر السابق لهذه الجهات من إفريقيا؛ فهناك عدد كبير من الماليين والسنغاليين، يليهم عدديا البوركينافيون، والمعلوم أن دولة مالي وبوركينافاسو دولتان داخليتان دون ساحل. لذلك يتجه شباب هذين البلدين إلى موريتانيا لأنها الأقرب إليهم من جهة، والأقرب إلى جزر الكناري التابعة لإسبانيا من جهة أخرى التي يتمنون المرور عبرها في اتجاه أوروبا: حلم الشباب الإفريقي، وعموما تعتبر موريتانيا أقرب دولة إفريقية إلى السواحل الأوروبية، والمعلوم أن هؤلاء الأفارقة يتنقلون بكل حرية، ولا يستظهرون سوى ببطاقة التعريف الوطنية دون تأشيرة، أما النيجيريون والتشاديون فليبيا هي الأقرب مسافة إليهم والأقرب إلى أوروبا؛ كما أن أوضاعها المأساوية تساعد على المرور بأكثر أريحية من بقية البلدان الإفريقية المستقرة أوضاعها.

ويشتغل هؤلاء الأفارقة في الأعمال البسيطة كخدم في المقاهي والمطاعم والفنادق، وكحمالين في الحافلات، وناقلين للأمتعة على عربات ذات عجلتين يدفعونها إلى الأمام بأثقالها أو تجرها بعض الحيوانات، كما يعمل بعضهم كطباخين أو صيادين للسمك وبائعين له على الساحل، وتنتشر النساء الإفريقيات لبيع السمك في الساحل، وداخل الأسواق يحضرن الفطائر أو الأكلات الخفيفة ويبعنها في المكان نفسه.

وبهذا تعتبر موريتانيا حلقة وصل بين الدول والشعوب المغاربية شمالا ودول وشعوب إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وبتعدد عناصر سكانها تتنوع ثقافاتها من عربية وأمازيغية وإفريقية مشكلة لوحة اجتماعية متعددة الألوان والثقافات، يتعايش فيها الجميع تحت شعار الدولة الواحدة التي يجمعها دين واحد هو الإسلام.

والبيضان هو لفظ متداول في الكتابات الموريتانية للدلالة على العنصر العربي والأمازيغي في مقابل الإفريقي الأسود البشرة. يحددها أحد الكتاب الموريتانيين بأن البيضان: "تسمية محلية غلبت على سكان المجال الصحراوي الواقع بين توات ووادي درعة شمالا، ومنحنى نهر النيجر ومصب نهر السنغال جنوبا، تمييزا لهم عن جيرانهم الجنوبيين الذين أطلق عليهم اسم السودان، اعتبارا للون بشرتهم، وعن جيرانهم في الشمال الذين لا يشتركون معهم في سماتهم الثقافية المميزة.."[21]، ويبين كاتب آخر المعنى بقوله: "البيضان أو البياضين تطلق على سكان الصحراء الإفريقية الكبرى ذوي البشرة السمراء- الضاربة أحيانا إلى البياض- عن بقية سكان المنطقة الزنوج ذوي البشرة السوداء"[22].

ويقارن الكاتب بين التسمية العربية وما درج عليه الفرنسيون من تسميات للمكان، ويذكر أن الفرنسيين درجوا- ومنذ القرن التاسع عشر- على تسمية هؤلاء السكان البيضان بالمور (Maures)، وينفي الكاتب عن كوبولاني تسمية موريتانيا للمكان بل هناك غيره؛ فيذكر أن تسمية موريتانيا على هذا الجزء الجنوبي الغربي من الصحراء ليس من ابتكار الإداري كزافيي كوبولاني(Xavier Coppolani) كما هو شائع؛ بل إن الضابط جان فرانسوا كاي (J.F.Caille) هو الذي أطلق ذلك الاسم سنة 1843 قبل كوبولاني بحوالي نصف قرن[23].

ويعرف بهم الكاتب السابق في قوله: "... وهم من البداة الرعويون المتنقلون دوما بحثا عن الماء والكلأ لمواشيهم، وعن الظروف المناخية والأمنية الأكثر ملاءمة في محيط صحراوي يمتاز بقساوة المناخ، وبشح مصادر العيش وغياب نظام مركزي قادر على توفير مستلزمات الحياة والطمأنينة للسكان"[24].

كما يلاحظ انعدام استعمال اللغة الأمازيغية مثلما هو الحال في بقية البلاد المغاربية؛ فقد كان لدخول قبائل بني حسان- وهم من المعقل- في القرن الثامن الهجري،

واكتساحهم أراضي موريتانيا أو بلاد شنقيط، أثر في حدوث تفاعل اجتماعي ثقافي نتج عنه تعريب القبائل الأمازيغية، وهكذا "طبعت السمة العربية جوانب الحياة المختلفة بشتى مظاهرها... ومن يومها ارتسمت ملامح هوية هذه البلاد، واتضحت معالم مجالها الجغرافي، وتحددت أوصال جسمها الاجتماعي..."[25]، وأصبحت اللهجة الحسانية هي لغة التخاطب اليومي بين مختلف شرائح المجتمع الموريتاني.

لقد كان لعرب المعافرة (من المعقل) دور في ميدان التعريب، وقيام نهضة جديدة بعد أن دخلت العربية- الحسّانية كل البيوت، وامتزجت الثقافة الوافدة بالثقافة المحلية (اللمتونية) التي تكمن في الروح الإسلامية والعلوم الدينية"[26]، وكان اللمتونيون في حاجة إلى توثيق حياتهم بالعربية، ووجدوا في بني حسان ما يحتاجون إليه، كما وجد بنو حسان في الزوايا لدى السكان الأصليين حرارة العاطفة الإسلامية ووفرة المعارف الدينية والالتزام بالشعائر التعبدية، وكانت مسألة أخذ وعطاء استفاد منها كلا الطرفين.

ج-انتشار الطرق الصوفية: كانت موريتانيا تنشر التعاليم الإسلامية منذ عهد عبد الله بن ياسين في البلاد المجاورة لها، "وانتشرت بها المساجد والمدارس، وحلق الذكر التي أنجبت علماء صالحين وحجاجا كثيرين من تكارير وسرغات وولف وغيرهم من السودان...، ولم تخل قبيلة من الزوايا ومن علماء مشاركين في جميع العلوم، يستظهرون المتون العلمية المختصرة المقررة للتدريس، ويطالعون المطولات"[27].

ومن الطرق السائدة في موريتانيا الطريقة القادرية، ومن أشهر أعلامها الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت1226هـ/1811م)، والشاذلية التي من فروعها الغظفية والناصرية، ومن أعلامها سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت.1233هـ/1818م)، والطريقة التجانية، ومن أعلامها سيدي محمد الحافظ العلوي (ت1247هـ/1831م)[28]. ويلاحظ الكاتب محمد الأمين ولد الزي أن عدد أتباع القادرية والتجانية أكثر في الإقليم من عدد أتباع الطريقة الشاذلية.

وقد قامت هذه الطرق بدور كبير في نشر الإسلام إلى جانب الدعاة والتجار وانتقال القبائل المسلمة من مكان إلى آخر. كانوا يقيمون المدارس والمساجد، يعلمون فيها أبناء الأفارقة، ويبعثونهم إلى أهاليهم يعلمونهم مبادئ الدين الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية، كما كانوا يشترون الرقيق، ويحررونهم ويعلمونهم في المدارس التي أقاموها

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

ليعودوا إلى أهاليهم يعلمونهم ما تعلموا في تلك المدارس والمساجد، ويعتبر عبد الله بن ياسين من أكبر الدعاة في نشر الإسلام في السودان الغربي، وهو الذي أعقبته الدولة المرابطية التي انطلقت من هذه المنطقة لتغزو بلاد المغرب شمالا، وتجتاز مضيق جبل طارق لتبسط نفوذها على بلاد الأندلس.

د- انتشار المحضرات: يُعرّفها الأستاذ محمدو محمدن أمين بأنها "مؤسسات ذات وظائف متعددة اجتماعية وثقافية وتربوية، ساهمت طوال القرون الماضية مساهمة كبيرة في نشر المعارف العربية والإسلامية بمختلف فنونها في ربوع الصحراء، ومنها إلى المناطق الإفريقية المجاورة، وفي نقل هذه المعارف عبر الأجيال..."[29]، ويضيف أنها تنقسم إلى صنفين:

- **المدارس القرآنية**: تنحصر وظيفتها في تعليم القراءة والكتابة للمبتدئين، وتحفيظ النص القرآني لا أكثر.

- **المحاضر**: وتختصّ في تدريس علوم القرآن والفقه والعقيدة...، وهي التي تجمع بين علوم الغاية وعلوم الآلة معا كالتجويد والتفسير والحديث والبلاغة والحساب والمنطق[30]...، وأنها بدأت حَضَرية في المدن، ثم انتقلت لتصبح مؤسسة تربوية بدوية من حيث الأساس...، وقد احتضنت البادية هذه المدارس، وتعاطت الثقافة العالمة درسا وتأليفا، وقامت بدور الدفاع عن التراث وحمايته، وقد ظلت المحضرة قائمة رغم قوة منافستها المدرسة الجديدة التي روجت لثقافة المستعمر الجديد، وظلت حاملة لمشعل الثقافة العربية الإسلامية في البلاد الإسلامية.

ما تزال المحاضر تقوم بمهمة نشر ونقل المعارف في نقاط عديدة من موريتانيا، مستقبلة طلابا موريتانيين وغير موريتانيين، وهذا ما ذكره لي أحد تجار مدينة نواكشوط الذي التقيت به في المدينة بعد أن علم بسبب قدومي إلى موريتانيا وهو الهدف العلمي؛ فقد ذكر لي ضرورة زيارة المحضرات التي تعتبر إحدى خصوصيات موريتانيا، وأشار لي إلى إحدى البلدات المشهورة في هذا الميدان بمحضرتها وهي بلدة النباغية الواقعة على بعد سبعين (70) كيلومتر من نواكشوط، والتي يسيرها الشيخ أبّاه المشهود له بالامتياز في المنطقة، وأن بها طلبة من جهات عديدة وحتى من الجزائر[31]، كما ذكر لي أحد الجزائريين الذي زار موريتانيا سنة 1992 رفقة جماعة من الدعاة أنهم زاروا بلدة بوتيليميت

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

الواقعة على مسافة 150 كلم جنوب العاصمة نواكشوط، وبها محضرة يتعلم فيها البنون والبنات. يجلسون على الحصير وعلى الرمال الناعمة. يحفظون القرآن الكريم وبعض العلوم الفقهية. فيهم طلبة جزائريون وبخاصة من ولاية أدرار. كما ذكر لي أنهم زاروا محضرة أخرى في مدينة نواكشوط بأحد الأحياء القصديرية[32].

ويركز جل الباحثين الموريتانيين على أن المحضرة تختص اليوم بالبادية دون الحاضرة، هذه الأخيرة التي استحوذ عليها التعليم الرسمي، وعن دور تلك المؤسسات يذكر أحد هؤلاء الباحثين أنه "بفضل التنشئة المحضرية، ورواج أطروحات هذه المؤسسات الثقافية، امتاز الموريتانيون بالتشبث بقيم دينهم، والتمسك بموروثهم الثقافي، والاعتزاز بتاريخهم وثقافتهم، والاحتفاظ بهويتهم المميزة"[33].

والواقع أن بقية البلدان المغاربية لم تكن بعيدة عن هذا الطرح وهذه الخاصية؛ ففي كتابنا عن التعليم القرآني في الجنوب الغربي الجزائري، ذكرْنا ذلك؛ "فإذا كان مقر المدرسة القرآنية عبارة عن حجرة منفردة أو تابعة للمسجد؛ فإنها في البادية كانت خيمة مستقلة للتعليم على حاشية الدوار المكون من خيام القبيلة، تدعى أحيانا عُشة، وتنتقل الخيمة- المدرسة هنا مع تنقل البدو من مكان إلى آخر بحثا عن الماء والكلأ، وينتقل معهم تلاميذها ومعلمها"[34]. والأمر نفسه في موريتانيا؛ فالمحضرة "تقام عادة فور حلول المخيم بأي مكان جديد يتم النزول فيه"[35]، غير أنها لم تكن تعلم في الجزائر خلال العهد الاستعماري سوى حفظ القرآن الكريم، وحفظ بعض المتون الفقهية والنحوية دون شرح أو تفسير بسبب محدودية مستوى المعلمين آنذاك بالجزائر.

وترد كلمة "المَحَّضْرَة" في المدرسة القرآنية بالجزائر وبالمغرب؛ ففي الجزائر تدعى جماعة التلاميذ في المدرسة القرآنية بـ"المحَّضْرَة"، وتعني في بعض الجهات من الغرب الجزائري المكان، وهكذا يرد عند أحد الكتاب قوله: "وإن كانت المحضرة تعجّ بالتلاميذ تتعدى قدرة الشيخ على الاحتواء..."[36]، وفي المغرب ترد عبارة "أخَرْبِيشْ إيمَحْضَارَنْ" لتعني المدرسة القرآنية في بلاد سوس بالمغرب الأقصى[37].

هـ- شرب الشاي: الشاي هو أم التشريفات في الصحراء بعامة من الجنوب الغربي الجزائري، وهو كذلك في موريتانيا. يتحدث أحد الكتاب الموريتانيين عن قيمة الشاي في موريتانيا، ويذكر أن "أكثر المشروبات صِلةً بوجدانهم وأقواها علاقة بنظرتهم للمجتمع،

وأهم وسيلة لتعللهم وتلهيهم هو الشاي؛ فقد داخل حياتهم أيما مداخلة، وانعكست ممارسات السلوك المتعلقة بشربه على أنشطتهم سلبا وإيجابا، حتى غدا معروفا بآداب وأنواع من السلوك مخصوصة، وأصبح قوي الدلالة على التراتبية الاجتماعية"[38]، ويشترك سكان الجنوب الغربي الجزائري مع الموريتانيين في هذه الخاصية، بَدْوِهم وحَضَرهم؛ إذ لا يخلو أي تجمع من وجود الشاي الذي يهيأ بطريقة خاصة، حيث لا يُحَضر في المطبخ حين يَحضر الضيوف، بل في وسط تجمع الرجال، حيث يُكلف أحد الحضور بتهيئته بعد أن يزود بمختلف تجهيزاته: الصينية- الإبريق- الكؤوس- السكر- أوراق الشاي- الموقد الغازي (المجمر-كانون جمر سابقا)، ويجري هذا كله داخل البيوت عند إقامة المأدبات، ويتم الأمر نفسه في الشرق المغربي من مدينة وجدة شمالا حتى مدينة فكيك جنوبا، وربما أكثر نحو الجنوب.

أما في موريتانيا فيُهيأ الشاي في الشوارع بالمدن القديمة وفي المتاجر والأسواق. يجلس الشخص، وهو في الغالب من صغار السن مربعا وقد يُعِده واقفا، وبجواره موقد التسخين والإبريق، وهو من الحجم الصغير- عكس ما يجري في الجنوب الغربي الجزائري من كبر حجم الإبريق بسبب عدد الحضور في المأدبة- والكؤوس في صينيتها. يُطبخ الشاي بمائِه في الإبريق الصغير، ثم يشرع في صبه في كأس صغير الحجم، ليقلبه بين كأسين في عملية متكررة، إلى أن يُكَوّن رغوة بيضاء، ويسلمه لطالبه في كأس غير مملوء، وهم يعدونه كمادة تباع وتشترى في الأماكن التي ذكرناها في موريتانيا[39]، وقد ذكر لي أحد عمال المعهد الموريتاني للبحث العلمي- الذي أمدني بالشاي ثلاث مرات عندما كنت أقوم بتصوير بعض المخطوطات- أنهم في موريتانيا لا يشربون أقل من ثلاث كؤوس في المرة الواحدة.

ويلاحظ الكاتب سابق الذكر (محمد الأمين) أنهم يشربونه في موريتانيا صباحا، كما "يُفضَّل أن يكون عَقِب كل طعام، كما يشربونه عند الأصيل، وأقواها ما يعقب به الشواء أو اللحم عموما"[40]، وهم يشابهون في هذا ما يجرى عند سكان الجهات الجزائرية التي ذكرناها أعلاه. لقد حظي الشاي بمكانة استثنائية لدى سكان الصحراء وجنوبها. يُفصِّل صاحب النفحات الرندية الحديث عن العادات الغذائية في عموم المنطقة، ويقول

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

عن الشاي: "ولم يكن لهم شراب معروف من قديم الزمان سوى اللبن خالصا وممزوجا...؛ فلما ظهر أتايْ صرفوا إليه عنايتهم بالكل وعكفوا عليه..."[41].

و- بعض المنتجات الموريتانية: تنتج موريتانيا مجموعة من المنتجات رغم محدوديتها، ورغم اتساع المساحة فإن جلها يمثل الصحراء الكبرى المعروفة بشدة الحرارة وندرة المياه وقساوة الطبيعة من زوابع رملية، وبعد للمسافات وخلوها من الغطاء النباتي، مما قلل من عدد السكان الذي يدور حاليا حول أربعة ملايين نسمة، وسنقتصر على بعض المنتجات مثل التمور والحديد والذهب والأسماك:

- **التمور:** تشتهر ولايتان في إنتاج تمور موريتانيا:

أ- ولاية أدرار في الشمال: ومن أهم واحاتها المنتجة شنقيط وودان وأوجفت وعطار وتونكد..

ب- ولاية تكانت: وهي واحات تقع في وسط البلاد.

ويعاني إنتاج التمور من صعوبات تتمثل في الجفاف والتصحر المتمثل في زحف الرمال، كما يجتاح الجرادُ البلاد من سنة إلى أخرى، وتصَدّر موريتانيا بعض أنواع التمور، بينما يعتمد السكان في معيشتهم على التمر كغذاء يومي.

- **الحديد:** يستخرج الحديد من منجم الزويرات في الشمال الموريتاني، وهو يعد للتصدير إلى الخارج عبر ميناء نْوادِيبُو، وينقل على سكة حديدية (وحيدة) تربط بين المنجم والميناء، وبه مَركبات خاصة بالعمال وعائلاتهم (تحمل 40 راكبا) كخدمات اجتماعية، ولكن الواقع غير ذلك؛ فقد أصبح هذا القطار الوسيلة الوحيدة للنقل بين مختلف المناطق في الشمال، يركبه الناس بأعداد كبيرة وبخاصة عند عودته من الميناء فارغا، وهو قطار طويل لكنه قديم. يقال إنه أطول وأثقل وأبطأ قطار في العالم. تستغرق الرحلة حوالي 20 ساعة في مسافة تبلغ 700 كم، وهو يجر أكثر من 100 عربة بطول 2,5 كلم. "يجري فوق هذه السكة أضخم قطار منجمي في العالم، وزيادة على شحنات خامات الحديد يتم نقل الركاب في عربات خاصة، كما يتم عبر بعض العربات نقل المياه لتزويد مدينة نواديبو والزويرات"[42].

وقد أصبح هذا القطار شريان الحياة في موريتانيا لمئات السكان، ينقلون عبره سلعهم وحتى حيواناتهم، كما يتم نقل الماء عبر صهاريج ضخمة في وسط صحراوي تندر أو

تنعدم فيه المياه؛ مما ينشط الحياة الاقتصادية، وما تزال العربات الأولى تسير كما كانت في ستينيات القرن العشرين، ويبلغ عدد القطارات المشتغلة في الخط ست (6) قطارات في اليوم الواحد: ثلاث منها في طريق الذهاب وثلاث في طريق العودة[43].

- **الذهب:** عُرفت بلاد السودان الغربي بالغنى والثراء عندما كانت البلاد الموريتانية جزءا من هذه المنطقة، وقد ضمت هذه الأخيرة مدينة أودغست الموجود موقعها الحالي وسط موريتانيا. كانت مملكة أودغست مركزا تجاريا في بلاد السودان عدة قرون، ولكنها كانت تتمدد وتتقلص (القرن 12م) من وقت إلى آخر.

كان الذهب في صدارة صادِرات غانا (التي كانت موريتانيا جزءا منها)، وقد بدأت تجارته تتسع في السودان الغربي في القرن 3هـ/9م عن طريق قوافل المنطلقة من ورجلان إلى كاغو بمالي، والقوافل المتجهة من سجلماسة إلى أودغشت، وكان تبادله يتم عن طريق المقايضة. يذكر البكري أنه كان يُجلب من أودغست "الذهب الإبريز الخالص خيوطا مفتولة، وذهب أودغست أجود من ذهب أهل الأرض وأصَحه"، ويذكر أن سكانها كان تبايعهم بالتبر وليس عندهم فضة وبها مبان حسنة[44].

وقد جنى الفاطميون أرباحا طائلة من هذه التجارة طيلة وجودهم ببلاد المغرب (909-972م)، مما سمح لهم من تحقيق خططهم لغزو مصر(362هـ/972م) في ظرف قصير، وقد صنعوا الحصير والسروج والسيوف من الذهب، مما يعني توفر هذه المادة لديهم.

ويتحدث الفشتالي- الذي كان من موظفي الدولة السعدية كوزير القلم الأعلى- عن بلاد السودان التي غزاها أحمد بن محمد المنصور السعدي (1549-1603م)، واستيلائه على البلاد وما تحتويه من ثروات، وبخاصة معدن الذهب الذي حمل منه الأثقال حتى سمي لذلك أحمد المنصور الذهبي: "وحسبك ببلاد آثرها الله وأثراها... وأرض كرَّم الله تربتها وأبان فضلها بما اختصها به من معادن الذهب الذي به قوام العالم وأس الملك وبناء المجد، وبالتفاوت فيه تتفاوت أقدار قوة وسلطانا وجنودا وأوطانا، فهي مثرات العديم ومجلب التبر إلى المشارق والمغارب في الحديث والقديم، فمن ملكها ملك الأرض، وجمع الطول والعرض لاضطرار أهل الأرض قاطبة إلى حمرائه، واقتيادهم إلى الإذعان لصفرائه..."[45]، ويبين سبب غزو السلطان السعدي لبلاد السودان في قوله: "ثم تسامت

هِمم مولانا أمير المؤمنين أيده الله بعد ذلك إلى الغلب على هذه الممالك الأخرى التي لا توازى لأجل معادنها الذهبية فخامة قدر وأصالة ملك اتساع خطة وكثرة أمم واتساع عمران ورسوخ إيمان واستبحار خراج..."[46]، وقد تم ذلك سنة 991هـ/1583م.

أخبرني أحد الأساتذة الموريتانيين الذي رافقني إلى عدة جهات في العاصمة نواكشوط، أن موريتانيا تملك ثروة مهمة من هذا المعدن الثمين إلا أنها لا تتحكم فيه جيدا، بل إن أستراليا تستحوذ على نسبة كبيرة من هذه المادة، بينما لا تحصل دولة موريتانيا صاحبة الأرض والمعدن سوى على باقي النسبة المئوية الضئيلة.

تتواجد خامات الذهب بالصحراء الموريتانية الواسعة الأطراف، وقد أظهرت عدة تحقيقات مصورة عن حُمى البحث عن الذهب التي شدت إليها الشباب الموريتاني العاطل من أجل الغنى. منهم من فاز واغتنى، ومنهم من فشل وعاد يجر ثوب الخيبة والامتهان. يذكر مراسل (CNN) أنه ما إن سمع الشباب العاطل عن وجود الذهب في صحراء موريتانيا حتى تقاطروا فرادى وجماعات على محلات بيع أجهزة التنقيب عن الذهب وعلى الإدارات الحكومية للحصول على تراخيص للتنقيب السطحي عن الذهب... وأن عشرات الشباب قصدوا منطقة الدواس على بعد 200 كلم شمال نواكشوط بحثا عن الذهب[47].

كما تتوفر موريتانيا على كميات هامة من خامات أخرى منها النحاس الذي يوجد ضمن نطاق يشق الخريطة من الشمال إلى الجنوب، كما أن هناك احتياطي كبير من الفوسفات.

- **صيد السمك**: تعد الثروة السمكية من أكبر منتجات العالم الحيوانية، وتستهلك بشكل واسع، كما تعتبر لدى البعض أهم منتوج غذائي، وفي موريتانيا يلعب صيد السمك دورا كبيرا في معيشة السكان لو أحسن استغلاله، وتمتد المنطقة الاقتصادية المحددة لموريتانيا إلى 200 ميل بحري في اتجاه عرض البحر[48].

وتقع السواحل الموريتانية- التي يتجاوز طولها 700 كلم- في ملتقى التيار البحري الدافئ القادم من المنطقة الاستوائية جنوبا والمار بغرب إفريقيا، بالتيار البارد القادم من المنطقة القطبية الشمالية (تيار كناريا البارد) والمار بغرب أوروبا، وهذا الملتقى يعتبر من أغنى أماكن تواجد الأسماك في العالم؛ فالتقاء التيارات البحرية الدافئة بالتيارات

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

البحرية الباردة يمثل أفضل مصادر اصطياد الأسماك عالميا؛ ففي هذه الأماكن تترسب حمولة التيارين مما يخفف من عمق المسطحات المائية ويوفر غذاء الأسماك، وهو ما يساعد هذه الأسماك على الاستقرار في هذه الأماكن.

والمعروف أن البحار والمحيطات تتعرض لحركة دائمة تؤدي إلى حركة مياهها تدعى التيارات المائية، وسبب هذه الحركة المائية هو قوة الرياح التي تدفع المياه في طريقها وتوثر بذلك على درجة حرارة الأماكن المارة بها برودة أو دفئا بحسب الاتجاه.

وقد لاحظتُ عند زيارتي للساحل الموريتاني بمدينة نواكشوط أمسية يوم الجمعة 15 نوفمبر رفقة الأستاذ أحمد مولود أيد الهلال تنافس الصيادين على الصيد البحري ونقله إلى الشاطئ، وكلهم من الأفارقة السود البشرة، حيث يعرضونه للبيع في أوعية بلاستيكية، كما يوجد بالمكان تجار لبيع بعض الصناديق الفارغة الخاصة والمعدة لتعبئة السمك (نوع Polyester)، ليُحمل إلى أي مكان من العالم عبر هذه الصناديق الحافظة- كما أكد لي الأستاذ الموريتاني سابق الذكر- والذي دعاني إلى اصطحاب صندوق من السمك مؤكدا أنه لن يفسد في هذه العلب المعدة لذلك[49].

لا يستغل السمك بأتم معنى الكلمة، وبخاصة من قبل الموريتانيين البيض، لقد أعطوا ظهورهم للبحر سنين طويلة، وأهملوه لجهلهم بأهميته الكبيرة- كما يقول الأستاذ أحمد مولود- ولكنها البداوة، ينفر البدو من منتجات البحر، ويفضلون منتجات البر كيفما كانت، وقد ورث الموريتانيون الحاليون هذا السلوك عن أسلافهم، وتندر أكلات السمك لدى المطاعم العادية، هذا ما لاحظته في أحد المطاعم المجاورة للفندق الذي أقمت فيه؛ فقد طلبت من صاحبه أن يأتي بالأسماك؛ فاعتذر متعللا بعدم معرفة طبخها، وقال لي آخرون إنهم يتخوفون من بوارها، وبخاصة وأنها سريعة التلف في الجو الحار، وهناك مطاعم راقية تبيع السمك على أشكال مختلفة من الطبخ. كما يقوم البعض منهم بتجفيف السمك، هذا ما لاحظته في السوق المجاور للمسجد المغربي في نواكشوط.

يذكر أن الصيد البحري احترفته منذ أمد بعيد جماعة إيمراكن، "وظل إلى وقت قريب من عصرنا الحالي حكرا محكورا عليها، ولم يوله باقي سكان المنطقة أي اهتمام، رغم غنى سواحلها بالأسماك والحاجة الموضوعية إليها أحيانا..."[50]. لقد ازدرى البيض

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

السمك كغذاء وغاب عن موائدهم، ويستثنى من ذلك سكان الشاطيء وضفاف نهر السنغال إلى حد ما.

ز- مراكز تحويل الأموال: هي مؤسسات مالية خاصة توجد في محلات صغيرة على جنبات الطرق، وبخاصة في الأسواق، يطلق أصحابها نداءات متواصلة، بل ربما هي نداءات مسجلة على أشرطة تنادي كل من يرغب في إرسال أموالٍ نحو بعض الجهات يذكرونها في تلك النداءات، وقد كتبوا على مداخل محلاتهم ما يلي: "تحويل الأموال إلى الولايات وبعض المقاطعات"، وهم بهذا يَحلون محل المصالح البريدية والمالية. أخبرني أحد الأساتذة الموريتانيين أنها طريقة مضمونة وسريعة، حيث أن لهؤلاء ممثلون أو زملاء يقومون بدفع الأموال المرسلة إلى أصحابها في وقت وجيز، بمجرد تلقيهم الخبر.

وهي عملية مبتدعة تخالف النظام المصرفي المعمول به بحسب ما أفهم. يظهر من المشاهدة أن من بين المتعاملين بهذه الطريقة محلات الصرف الخاصة ووكالات النقل ومحلات الهواتف النقالة التي يسيطر عليها القطاع الخاص، وبذلك تفقد الدولة الكثير من المداخيل بعد أن سيطر عليها هؤلاء، وكلها ترتبط بالحياة اليومية للمواطن في كل مكان؛ فهي ترافقه في تنقلاته وفي حاجاته اليومية.

10- العودة إلى الوطن: إن أول ما يفكر فيه المسافر عند اقتراب موعد العودة إلى الوطن هو الهدايا التي يقدمها لمن حوله من الأهل والأحباب. كنت أحمل معي كل مرة هدايا لأسرتي، لكنني لم أفعل ذلك هذه المرة. إن أصعب ما يلاقيه المرء في رحلته- كما تبين لي- هو كيفية انتقاء الهدايا للآخرين؛ فأنت إما أن تأتي بشي لا يناسب صاحبه من حيث القامة: الطول أو العرض أو البدانة والنحافة، كما أن نوعية القماش أو نوعية الهدية بأكملها قد لا تعجب صاحبها الذي أهديت إليه، وقد قررت الاكتفاء هذه المرة بتمر موريتانيا، رغم أنه لا ينافس تمر بسكرة الجزائري، ولكن الموريتانيين يفتخرون بتمر مدينة عطار، لذلك اشتريت قليلا من ذلك التمر.

وقبل يومين من تاريخ العودة، كلمت عامل الفندق "كِيتَا"- المالي الجنسية- كي يبحث لي عن سائق سيارة يوصلني إلى المطار بـ600 أوقية (بدل 800 أوقية التي دفعتها عند القدوم)، وقد فعل وجاءني السائق في الساعة السابعة بعد صلاة المغرب من يوم 16 نوفمبر، وأوصلني إلى المطار مبكرا.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

كنت قد احتفظت بثمان مائة أوقية (800) حتى المطار احتياطا لأي جديد، وعندما تأكدت من عدم تغير توقيت الطائرة، بالإضافة إلى حصولي على ورقة الصعود (Fiche d'embarquement) قصدت محل الصرف في المطار وقمت بذلك بكل سهولة.

ركبنا الطائرة بعد حوالي ساعة من تأخر قدومها من الجزائر (23.15)، وهو التوقيت نفسه الذي قدمت فيه إلى موريتانيا في السبت الماضي. رحب بنا ربان الطائرة وذكّرت لنا المضيفة أننا سنصل مطار الجزائر بعد أربع ساعات من الطيران، وهذا ما حدث. قدموا لنا وجبة عشاء ثم أطفأوا الأضواء. وقبل نصف ساعة من النزول كلمتنا المضيفة تطلب منا شدّ الحزام والاستعداد للنزول، والتأكد من عدم ترك أي شيء يخصنا، وأعلمتنا أن درجة الحرارة في مدينة الجزلئر هي 8 درجات، عكس موريتانيا التي تركناها تزيد قليلا عن 30 درجة نهارا و22 درجة ليلا.

نزلنا مطار الجزائر هواري بومدين والبرد شديد والأمطار تنزل، مثلما وقع تماما عند الذهاب؛ فقد كان الجو في ذلك اليوم ممطرا ودرجة الحرارة 18 عند المغرب من يوم 9 نوفمبر. وتفرق المسافرون كل في اتجاه معين؛ فقد عاد الجزائريون إلى موطنهم، وجاء الموريتانيون ليقضوا مصالحهم، كما فعل المسافرون الجزائريون هناك في موريتانيا قبل حين. وأخيرا تجدر الإشارة إلى أنني تعلمت من هذه الرحلة أشياء من خلال زيارة بلد شقيق يدعى موريتانيا، منها أننا تعودنا أن نكتب الطاء في اسم موريتانيا بدل التاء (موريطانيا)، والقاف بدل الكاف في (نواقشوط)، والحقيقة هي ما ينطق بها أهلها، ويتم هذا على الشكل التالي: موريتانيا- نواكشوط.

الهوامش:

1- تم تعليق منحة الاستفادة من السنة السبتية التي كان الأساتذة يستفيدون منها خارج الوطن منذ سنتين، نظرا للضائقة المالية التي مست مداخيل الدولة الجزائرية.

2-كان الأستاذ موفقس محمد قد استقال من رئاسة القسم في نهاية السنة الجامعية 2018/2017 ليخلفه الأستاذ حمدادو بن اعْمر(2018-2019)، الذي استقال بدوره في بداية السنة الجامعية 2020/2019، وتحل محله الأستاذة صوافي الزهرة.

3-الحَراك الشعبي: هي حركة جماهيرية تتمثل في مسيرات سلمية قام بها الجزائريون عبر أهم المدن الجزائرية منذ 22 فيفري 2019، رافعين شعار "يتنحاوْا قاعْ"، أي المطالبة برحيل رموز النظام السياسي الجزائري الذي حكم البلاد عشرين سنة تحت قيادة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة، وهذا منذ سنة 1999. وكان الرئيس المذكور قد حكم البلاد لمدة أربع عهدات، وكان النظام يحضر نفسه لعهدة خامسة، والرئيس يعاني من المرض الذي أقعده على كرسي متحرك، وهو ما رفضته الجماهير الجزائرية.

4-كانت الثورة الليبية قد أطاحت بمعمر القذافي بقتله في 20 أكتوبر 2011. وقد انطلقت الثورة قبل ذلك يوم 15 فيفري 2011 بمدينة بنغازي بمظاهرات واحتجاجات مطالبة بالحرية السياسية وإطلاق سراح المعتقلين.. وحدثت اشتباكات بين رجال الثورة وقوات القذافي، وتدخل الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا للقضاء على القذافي ونظامه تحت غطاء حماية المدنيين من ضربات

طيران الحكومة.-----5-سعر مبيت الليلة الواحدة 600 أوقية. وهناك دار الضيافة(Maison de haute) تستقبل الأجانب بسعر 1600 أوقية بحسب ما صرح لي به الأستاذ أحمد مولود أيّد الهلال من قسم التاريخ.---- 6-مؤسسة النقل تدعى "اترارزة للنقل".

7-سبستيان بولي، أدوات البداوة في انواكشوط مجرد بقايا أم محامد مفضلة لهوية حضرية حية، ترجمة محمد المصطفى ولد سيد أحمد، "انواكشوط عاصمة موريتانيا." بمناسبة ذكرى مرور خمسين عاما من التحدي. إصدار وزارة الثقافة والشباب والرياضة، دار نشر سيبيا(Sepia) 2006، ص: 113.

8-طبعت المطوية من قبل المعهد سنة 2015م/ 1434-1435هـ قام بإنجاز هذا العمل الطالب أحمد ولد اطوير الجنة ومحمد يمب بن أحمد يحي في 14-9-2012.

9-أخبرني الأستاذ أحمد مولود أنه التقى ببعض أساتذة قسم التاريخ بجامعة وهران منهم محمد بن عبد المومن في أحد الملتقيات في القاهرة. كما أفادني بزيارة قام بها عبد الحميد بورايو أستاذ الثقافة الشعبية بالجزائر كأستاذ زائر لجامعة نواكشوط. وأن هناك إحدى أستاذات قسم الاجتماع بجامعة وهران التي تزورهم من حين إلى آخر بسبب دراسات لها حول الحسانية، كما أنها أصلا من مدينة تندوف التي توجد بها طوائف من الحسانيين، وهي زوجة الأستاذ العايدي عبد الكريم.

10-محمدّو أمين، مدخل إلى تاريخ البداوة، وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع البرلمان بالجمهورية الإسلامية الموريتانية، الطبعة الأولى 1440هـ/2018م. ص: 81 و92.

11-محمدّو أمين، المرجع السابق، اعتمادا على: محمد عبد الله ولد محمد الولي، مكتبات شنقيط: دورها العلمي وإشعاعها الثقافي، بحث لنيل شهادة المتريز، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، 2008. ص 13-14.

12-محمد الأمين ولد الزي، الثقافة الشنقيطية مقاربة نسقية حول مدة زمنية 1630-1980، منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، دوبلن إيرلندة، الطبعة الأولى، د. ت. ص: 79.

13-Horizons, Quotidien Mauritanienne n° : 7649, Lundi 11 novembre 2019, page 4.

14-سيدي مصطفى ولد بلالي، "شنقيط: باب للمعرفة"، جريدة أوريزون(Horizons)، ليوم 11 نوفمبر 2019، ص: 8.

15-أحمد مولود ولد أيّد الهلال، مدن موريتانيا العتيقة. قصور ولاتة وودان وتشيت وشنقيط، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط 2014، ص: 11.

16-Horizons, Quotidien mauritanien, n° :7649 du Lundi 11 novembre 2019.----- 17-IBID.

18-أحمد بن سيدي، موريتانيا الماضي المتحرك والمكان المؤثر، ص: 45، مرجع بالمكتبة الوطنية(الموريتانية) تحت رقم 934/362. اطلعنا عليه يوم 12-11-2019.---- 19-حماه الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيطي (موريتانيا)، دار الكتب العلمية، بيروت. د. ت. ص: 18.----20-اسلم بن محمد الهادي، المرجع السابق، ص: 16-30.

21-محمد المختار ولد السعد، المرجع السابق الجزء الثاني، ص: 755.

22-محمدّو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر –قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية- منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 2001، ص: 17.----- 23-محمدّو بن محمذن، المرجع السابق، ص: 19. في كتابه

(Notes sur les peuples de la Mauritanie et de la Nigritie, riverains du Sénégal. Paris, Revue Coloniale.. septembre 1846, pp. 1-10.)

24-محمذو بن محمذن، المرجع السابق، ص: 19.

25-محمد الأمين ولد الزي، الثقافة الشنقيطية مقاربة نسقية، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة الأولى. د. ت. ص: 158-159.----26-محمد المختار ولد أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1987، ص: 10.

27-المختار بن حامد، حياة موريتانيا، الجزء الثاني، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب بطرابلس ودار تونس، د.ت. ص: 6.

28-محمد الأمين ولد الزي، المرجع السابق، ص: 373.

29-محمدو محمدن أمين، المحظرة الموريتانية نشأتها وأدوارها، مقال بمجلة عصور الموريتانية، العدد السادس لسنة 2017.(ص ص:207-251).---- 30-المرجع نفسه.-----31-السيد المختار تاجر بمدينة نواكشوط، المقابلة يوم 12-11-2019.

32-دلهوم الشيخ، 53 سنة ممرض متقاعد من عين الصفراء. المقابلة بوهران في 11 جانفي 2020.

33-محمدّو أمين، مدخل إلى تاريخ البداوة(عناصر من الثقافة الحسّانية)، طبع وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع البرلمان بالجمهورية الإسلامية الموريتانية، نواكشوط 2018، ص: 125.

34-عبد القادر خليفي، التعليم القرآني في الجنوب الغربي الجزائري قبل 1962، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015، ص: 165.---- 35-محمدو أمين، المرجع السابق.

36-احمد الأزرق، الكتاتيب القرآنية في الجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها، دار الغرب للنشر والتوزي’ن وهران 2002، ص28.----37-ينظر كتابنا: التعليم القرآني في الجنوب الغربي الجزائري قبل 1962، ص: 163.

38-محمد الأمين ولد الزي، المرجع السابق، ص: 347.

39-انتشرت عملية إعداد الشاي وبيعه في مدن عديدة من الشمال الجزائري، يشرف على إعداده أبناء منطقة الجنوب الغربي وبخاصة سكان ولاية أدرار.----40-محمد الأمين، المرجع السابق، ص 347.

41-إبراهيم بن الشيخ سيديه، النفحات الرندية في العوائد البيضانية، تحقيق محمد يحي بن محمد محفوظ، م1 ع أ 1986، ص: 67.----42-اسلم بن محمد الهادي، موريتانيا عبر العصور، مطبعة الأطلس. د. ت. ولا بلد، ص: 91.

43-بحسب قناة الجزيرة عبر مراسلها محمد الصوفي، موقع: www.bellewarmedia.com اطلع عليها بتاريخ أول ديسمبر 2019 الساعة العاشرة صباحا. وعن الأستاذ أحمد مولود الهلال من قسم التاريخ بالجامعة العصرية بنواكشوط.

44-أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب. وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت. ص: 159. جدد طبعتها المستشرق دوسلان: (De Slane : Imprimerie du gouvernement, Alger 1857)

45-أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة الرباط، الطبعة الثانية 2005، ص 117-118.----46-أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، المرجع السابق، ص: 119.

47-التار ولد أحمده، نواكشوط بتاريخ الخميس 19 ماي 2016. موقع: arabic.cnn.com. تم الاطلاع على المعلومة يوم 2019/12/12 الساعة الثانية بعد الظهر.---- 48-اسلم بن محمد الهادي، المرجع السابق. ص: 10.

49-لاحظت وجود قوارب متراصة على الساحل على امتداد البصر متوقفة الواحد بجانب الآخر وكأنها خيول تنتظر الانطلاق للسباق، وهي راسية في البر. وفي البحر مراكب أخرى عائدة من داخل البحر، وهي تحمل ما تمكن الصيادون من اصطياده في ذلك اليوم.

50-محمد المختار ولد السعد، إمارة الترارزة وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703 إلى 1860 الجزء الأول، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة كوثر، الرباط 2002، ص: 145.

الباحث برفقة الأستاذ أحمد مولود أيْد الهلال غروب الشمس بشاطئ نواكشوط (2019/11/15)
أستاذ بجامعة نواكشوط بشاطئ مدينة نواكشوط في 2019/11/15.